التعدد اللهجي للأمثال الشعبية في منطقة الشلف – مقاربة سوسيو نصية –

The dialectical multiplication of folk proverbs in the chlef region(socio textual approach)

عراب أحمد [1]

[1]جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف (الجزائر) البريد الإلكتروني: arabahm2@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2020/09/15 تاريخ القبول: 2020/11/16 تاريخ النشر: 2020/12/10

الملخص:

تعدّ فكرة البحث الموسوم بـ" التعدد اللهجي للأمثال الشعبية في منطقة الشلف – مقاربة سوسيو نصية– خطوة جريئة ، للتعريف باللهجة الشناوية المتاخمة جغرافيا لمدينة الشلف، والتعرّف على وجه الخصوص على ثرائها اللغوي وتنوعها البشري، هذا التنوّع وسم المنطقة بخاصية لهجية فريدة، تجمع في منطوقها بين العربي الفصيح والعامي واللهجي ،الأمر الذي يفتح فضول الباحث على قضايا الأنثروبولوجيا وعلم الطوبونيميا.

تسعى هذه الورقة البحثية إلى رصد مدونة الأمثال الشعبية ذات اللهجة المحلية، وما يقابلها في المنطوق الفصيح والعامي الشلفي،وعقد المقارنات بينها على أساس الخارطة البشرية للتوزيع البشري مابين (منطقة شمال الشلف الساحل(الشناوية)ومنطقة جنوب (حوض الشلف)،و التعريف بالتعدّد اللهجي فيها،وبالخصوص اللهجة الشناوية (الشلحية)التي تجمع بين اللهجة الأمازيغية والعربية والدخيل، والوقوف على أهم الوظائف اللهجية التي تختزلها الأمثال الشعبية في كل حيز جغرافي من تلك الأحيزة المتاخمة لها ، وتمعّن طرق الأداء التواصلي بين أفراد مجتمع هذه اللهجة .

الكلمات المفتاحية: التعدّد ; المثل ; شعبي ; اللهجة ; الوظائف.

المؤلف المرسل: عراب أحمد

المنارة للاستشارات

ww

ABSTRACT :
The idea of the research marked "the dialectical plurality of popular proverbs in the Chlef region - a textual Sosio approach -" is a bold step, to define the Shinawa dialect geographically adjacent to the city of Chlef, and to identify in particular its linguistic richness and human diversity. Between the fluent Arabic, the colloquial and the dialect, which opens the researcher's curiosity on the issues of anthropology and topology.

This research paper seeks to monitor the code of folk proverbs with a local dialect, and what is equivalent to it in the eloquent and plebeian pronunciations, and to draw comparisons between them on the basis of the human map of the human distribution between (the North Chlef Sahel region (Shinawiya) and the South (Chlef Basin), and to define the dialectical diversity. In it, and in particular the Shinawi dialect (Shalhiya), which combines the Amazigh, Arabic andThe intruder dialect, standing on the most important dialectical functions that the popular proverbs summarize in every geographical area of those adjacent areas, and examining the methods of communicative performance among the members of the community of this dialect.

Keywords: : multiplication; proverb ; folk ; dialect; functions .

1– بسط منهجي:

تسعى هذه الورقة البحثية إلى إثارة نقاط السؤال عن سر استحواذ المثل الشعبي في الموروث الشلفي على هذا الاهتمام الشعبي، و هل يمكن صياغة قاعدة لأهم الوظائف اللهجية التي تندرج تحتها أشكال التعبير اللهجي،وبالأخص في المثل الشعبي ؟ و كيف يجوز استخدامه في جانبه الوظيفي التعليمي والاجتماعي والترفيهي،وهو بحسب **سيبستيان فرانك** " حصيلة تجارة مفلسة "؟.

وحسبنا توضيحا اقتراح عيّنة من النماذج لهذه الدراسة، والتي آثرنا فيا جمع الأمثال الشعبية في منطقة الشلف ذات اللهجة الشنوية الشلحية، والبحث فيها عن مقابل لها في العربية العامية ، مع إجراء بعض المقارنات فيما بينها،من حيث عزل بعض الألفاظ ذات المستوى الفصيح والعامي ،والبحث في جوهر التقاطعات المعجمية والدلالية المشتركة فيما بينها، وبالخصوص على مستوى العلاقات الصوتية بين اللهجات الأربع: عشعاشة ، هراوة ، وارسينيس ، ب. حليمة مع ب. منصار من ناحية ،والزواوة من

المنارة للاستشارات
ww

ناحية أخرى ،باعتبار أن العلاقة الوثيقة الموجودة بين الخمسة الأوائل هي الأكثر وضوحًا، كما سيلاحظ أن هراوة الأكثر شرقًا على الإطلاق ، تميل إلى الاقتراب من زواوة ،بحيث تعمل معها أحيانًا كوسيط بين لهجات أخرى و زواوة.[1]

وعليه تتلخص أهداف هذه الورقة البحثية في:

1- التعريف بالتركيبة البشرية لمنطقة الشلف، وبالتعدد اللهجي فيها، وبالخصوص اللهجة الشناوية التي تجمع بين اللهجة الأمازيغية والعربية والدخيل.

2- الوقوف على الظواهر الصوتية المصاحبة لهذه اللهجة،وطرق الأداء التواصلي بين أفراد مجتمع هذه اللهجة انطلاقا من دراسة قدّمها روني باسات* **René basset** بعنوان: **zenatia de la loursenis et de maghreb central**

تجدر الإشارة إلى أن هذه الدراسة رائدة في هذا المجال –على حسب علمنا – ، تطرق فيها هذا الأخير إلى التركيبة البشرية المنتشرة على طول وعرض جغرافية المنطقة، وفي شقّ آخر منها تناول التوزيع اللهجي في المنطقة ،والتي صنّفها ضمن مجموعات سكانية،مركزا في جانب منها على الظواهر الصوتية من خلال دراسته لبعض الحكايات الشعبية، وفي الصفحة الثالثة بالتحديد من الفصل الأول يأتي ذكر مدينة **تنس** وقمّتي **زكار وشنوة** على سبيل الذكر، باعتبارهما منطقتين متاخمتين لسلاسل جبلية استطاعت بعض المجتمعات السكانية ذات اللهجة البربرية الاحتماء بها [2].

تتوزع اللهجة الشناوية أو الشلحية على طول الساحل الشرقي لمدينة الشلف، على نطاق واسع ،وبالتحديد في مناطق عديدة من **بني حواء وبريرة وتمزغيدة** ،وغيرها من القرى المنتشرة عبر المرتفعات **كبيسة وحمليل**، وعليه فقد اقتضت منهجية العمل الاستعانة ببعض الطلبة المحققين من الناطقين بهذه اللهجة والعارفين بخصائصها الصوتية والدلالية ، زيادة على أن المقاربة المنتخبة لهذه المحاولة تستدعي" دراسة اللهجة دراسة استقرائية Inductive وصفية تقريرية descriptive بناء على ما يجتمع عند الدارس من مادة سجلها أو جمعها بطريقة خاصة."[3]

و يستحسن أن تكون دراسة اللهجة على مراتب ،بما أن" كل لهجة هي لغة قائمة بذاتها ،بنظامها الصوتي وبصرفها وبنحوها وبتركيبها وبمقدرتها على التعبير، تترتب على النحو التلي :

1/ مرتبة الصوت phonology.

2/ مرتبة الصرف stymology.

المنارة للاستشارات

3/مرتبة التركيب أو النحو syntax.

4/ مرتبة المعجم . "[4]

2- توطئة:

تعيش شعوب الضفّة الجنوبية من حوض البحر المتوسط على غرار شعوب العالم على ما تبقى لديها من موروثها الشعبي،تستوحي من خلاله قيّمها الثقافية السائدة بينها، عبر تبادل تلك المواد الفولكلورية على تنوعها،بين أفراد المجتمع المنتج والمتلقي لها، جيلا بعد جيل، في حلقة يتبادلون فيها الأدوار ما بين حاك مهيمن على مجريات الحكي، و متلق أو مروي له،وهم مع ذلك يتناقلون إزاء ذلك مهارات الحكي أو الرواية مشافهة،فتتنوع لديهم تقنيات الأداء، مما تجعل العملية خاضعة لطقوس تتحدّد تبعا للشكل التعبيري، وجنس الحاكي أو الحكواتي، ومكان وزمان عرض الحكاية.

وفي العادة ما تُتلقف مختلف أشكال التعبير الشفهي، من أمثال وقصص و سير الشطار وأبطال الفتوحات والمغازي ،وقصص الأنبياء وكرامات الأولياء والصالحين في حلقات الأسواق في المواسم، والوعدات التي تقام إكراما للأولياء الصالحين، حيث يتمّ التحضير لها عبر سلطة الإشهار بالطبل و العزف على المزمار لاستكمال حلقة المستمعين في طقس مخصوص، كما تعهد هذه المهمة إلى شخص الحكواتي ، صاحب اللحية المخددة ،والصوت الجهوري ،والحركات المربيّة ، في حين تنهض المرأة (الجدّة) صاحبة الصوت الخافت الرقيق بعملية القصّ بتقنيات تستهوي بها أسماع المستمعين ، ليتحقّق للأدب الشعبي بكل أشكاله مزية التواصل والتواتر،وتترسخ المقاصد الفنية و القيم الإنسانية التي تنشدها هذه الأشكال،"و هنا تأتي كل حكاية بصيغة جديدة لنص متوارث قد يتعرض للحذف أو الإضافة أو التعديل".[5]

يستقبل جمهور المستمعين هذه الأشكال عن طريق السماع مباشرة ، وعبر مستويات تعبيرية متعددة ، قد تقترب من العربية الفصحى في بعض المجتمعات الجزائرية ذات الأصول العربية ، و قد تبتعد قليلا ، إذا كانت ذات أصول أمازيغية ، غير أن القاسم المشترك بينها هو تناقلها بلسان دراج ، ذلك أن الثقافة الشعبية في الجزائر لا يمكن حصرها في شكل أو في مكان نظرا لشساعة المساحة ، و تعدد الأجناس و الثقافات ،و هو ما يمنح هذه الثقافة الشعبية خصوصية متفردة ، و سمة محلية مائزة .

استطاعت هذه المجتمعات في المغرب العربي عموما أن تعوّض عن حالات العوز الثقافي المسلط عليها من طرف المستعمر الفرنسي، باستدعاء التراث الشعبي في شكل ألوان الفلكلور و استعادة رموزه ، من

المنارة للاستشارات
ww

خلال معايشة الأفكار التي تدعو إليها قوة الفكرة المتبوثة في ثنايا هذه الأشكال التعبيرية الشعبية ،"فحينما حاول الإنسان الأول أن يعبر عن إحساسه بالكون المهول الذي يحيط به ، خلق صورة مصغرة للكون الكبير ترجمها إلى أفعال و كلمات تفسر الأصل الكلي حيث يبدأ كل شيء."[6]

و تحقيقا لهذه المقاصد تمنح هذه الأشكال شرف القول لمن هو أهل له،و أقدر على استيعاب طقوسه،واستحضار نصوصه في مناسبات وظروف معينة ،فالجدّة على سبيل المثال هي الحلقة الرئيسة في صلب هذا المجتمع ومانحة سرّ المتعة للأبناء و الأحفاد ، من خلال إجادتها لفن الحكي و واضطلاعها بوظيفة السارد، وهي وظيفة انتباهية تحقّق الاتصال بالجمهور و التأثير فيه ، وهي بذلك تتجه إلى المستمعين أكثر من اهتمامها بالحبكة نفسها .[7]

3– محدّدات أولية :

لا يجد دارسوا الأمثال الشعبية صعوبة في اقتفاء منابت هذا الجنس الأدبي المتداول بين فئات الشعب على اختلاف مستوياتها الفكرية والمعيشية ، وذلك عبر الرصد الفعلي لمجمل الأمثال المتداولة في حيّز امتدادها الجغرافي، والاستئناس بمقاصدها التعليمية والفنية، والتي تدنيها من حاضنة الذائقة الشعبية لاشتغال هذه الأمثال على خواص لغوية متنوعة بين صيغ الفصيح والعامي، إضافة إلى ما تتمتع به من ألفة على مستوى موسيقاها الخارجية والداخلية، رغم " أن صياغة المثل بدأت فردية قد نطق به فرد في زمان معين و مكان معين،وإذا مس المثل حسّ المستمعين له، فهو حينئذ بينهم و كأنّه عبارة ذات أجنحة، و عندئذ يتعرض المثل للتحوير والتهذيب حتى يوضع في قالبه القانوني بوصفه مثلا شعبيا".[8]

لما كانت الأمثال الشعبية فنا من الفنون الأدبية الشائعة لدى فئات الشعب ، فإنها قد ألمت بكل جوانب الحياة وأحاطت بكل ما يتعلق بانفعالات الإنسان في بيئته من حب و كراهية ومعاملة و سلوك و غير ذلك مما يتعلق بمناحي الحياة و يصدر عنها و يعتلج فيها ، وهي في مجال تداولها حقل واسع، بها تعرف أخلاق الشعوب وتصقل طباعها، فقد" تحوز في طياتها مختلف التغييرات التي تمثل حياة مجتمعها و تصورات أفرادها بأساليب متنوعة و طرق متعددة كالسخرية اللاذعة و الحكمة الرادعة"[9].

وعلى هذا الأساس قدمت الكثير من الدراسات مباحث هامة في الأمثال الشعبية، تناولت فيها بالشرح والتفصيل المنطلق الفكري الذي صدرت عنه الأمثال، و أهم القضايا التي عالجتها من زوايا معرفية وأدبية مختلفة ،و وفق مقاربات منهجية متباينة في أساليبها وأهدافها،نظرا لما تتّسم به الأمثال الشعبية من مرونة في الطرح، وبساطة في الأسلوب وعمق في المعنى يجعل منها أدبا يمتاز بإيجاز اللفظ و حسن المعنى و

المنارة للاستشارات
ww

لطف التشبيه وجودة الكناية، و لا تكاد تخلو منها أمة من الأمم، و فضل مزيتها أنها تصدر من كل طبقات الشعب، و ليست في ذلك كالشعر و النثر الفني، فإنهما لا ينبعان إلا من الطبقة الأرستقراطية في الأدب. 10

وبديهي أنّ تحديدات الأمثال الشعبية لم تستقر على إجماع يحقّق لها مفهوما قارا عدا المفهوم اللغوي، مما فتح باب الاجتهاد واسعا أمام الدارسين للنظر فيه، ومن جهات نظر متباينة حسب طبيعة الدراسة صفة المنهج كما أسلفنا، فقد يكون في تعريفه أقرب إلى" الأسلوب البلاغي القصير الذائع بالرواية الشفاهية المبين لقاعدة الذوق أو السلوك أو الرأي الشعبي، و لا ضرورة لأن تكون عباراته تامة التركيب".11

ولعل القاسم المشترك في الأمثال الشعبية هو ما يحقق لها شبهة الإجماع في الرؤية حيال التعريف الاصطلاحي بين كل التعريفات، والذي يحوم حول الخاصية البنيوية للمثل الشعبي والمتمثلة أساسا في خاصية "الإيجاز، فهي قليلة اللفظ كثيرة المعاني، و هي تحتوي على نمط من الأخلاق ،و على فلسفة بل على فن الحياة ".12

يختبر المثل في مورده ومضربه فطنة المتلقي، إذ يمكنه من عقد مقارنة على أساس التشابه بين المواقف والمناسبات لاستخلاص العبرة وتسويق الفكرة فتهذب إثرها الأذواق ،من حيث تخيره لجمال العبارة وبلاغة الاستعارة وتوافق الحروف في نغم وموسيقى دافئة ،ولذلك كان "للأمثال من الكلام موقع في الأسماع و تأثير في القلوب لا يكاد الكلام المرسل يبلغ مبلغها و لا يؤثر تأثيرها لأن المعاني بها لائمة، و الشواهد بها واضحة، و النفوس بها واقعة ، و القلوب بها واثقة، و العقول لها موافقة.13

و على ذكر عامية المثل لا بد من الاحتراس في اعتبار تلك السّمة قدحا في بلاغة المثل ،أو إنقاصا من كفاءته التبليغية و التأثيرية، لأن أذواق المتلقيين تتأتى بمقدار استعمالهم للغة ما، و بما تواطأ عليه أبناء المجتمع الواحد من ألفاظ تبلغهم غاية الفهم، فكل فرد مجبول على استيعاب بلاغة لغته، و من هنا كانت العامية في المثل الشعبي ظلا من ظلال البلاغة والفصاحة، وفي ذلك يقول سيدمون إبراهيم حمصي:" إن صنع المثل على الرغم من عفويته يحتاج إلى نفس حساسة بارعة في صياغة اللفظ المطابق للشعور و الفكرة في موقف ما، فإذا لم تتيسر للمثل هذه الصفات مات لحظة ولادته".14

والمثل الشعبي كغيره من الفنون القولية يحتاج إلى منوال ينسج على شاكلته، وقاعدة فنية يرتكن إليها وصياغة لفظية يتميز بها عن سواه من الفنون الشعرية والنثرية ،أجملها الباحثون في أربعة شروط:

المنارة للاستشارات
ww

أحدها: صحة التشبيه، و **الثاني**: أن يكون العلم بها سابقا و الكل عليها موافقا، و **الثالث**: أن يسرع وصولها للفهم و يجعل تصورها في الوهم من غير ارتياء في استخراجها و لا كد في استنباطها و **الرابع**: أن تناسب حال السامع لتكون أبلغ تأثيرا و أحسن موقعا.فإذا اجتمعت في الأمثال المضروبة هذه الشروط الأربعة كانت زينة للكلام، و جلاء للمعاني،و تدبرا للأفهام".15

يبدو واضحا أن نظرة المحدثين إلى المثل الشعبي قد اتسمت بطابع الشمولية في معالجة الإطار المفاهيمي دون تحديد أو تفصيل فيه ، في محاولة منهم ربطه بالجانب السيكولوجي من أخلاق الشعوب و عاداتهم ، وما يتّصل بقدرتهم على الخلق والإبداع في مجال فنون القول قصد الوصول به إلى تحديد دقيق، فقد شاع في عرفهم أن المثل ما تلفظته الشفاه واستلطفته الأسماع، فكان جديرا بالاستحضار والاستشهاد في مواقفهم المعيشية،أوهو ذلك القول الموجز في ألفاظه المتشبع بالحكم والعبر، لذلك جاز القول إن "كل مثل يصلح أن يكون موضوعا لعمل أدبي كبير إذا استطاع الكاتب أو الباحث أن يتخذ من المثل بداية، يعايش تجربة المثل ويعبر عنها تعبيرا تحليليا دقيقا".16

4– المثل في المفهوم الغربي:

اهتمت المعجمات و دوائر المعارف الغربية بتعريف المثل وأفردت له صفحات و مباحث في مفهومه،ومن بينها قاموس **لاروس** الذي عرّفه بأنه قول موجز، مصيب للمعنى، شائع الاستعمال و وليد التجربة الشعبية. 17وفي نفس الإطار حدّدت دائرة المعارف الأمريكية مفهوم المثل باعتباره جملة قصيرة، مصيبة للمعنى، تخبرنا بدقة عن حقيقة الأمور اليومية المتولدة في المجتمع بأسلوب عامي لتلقى رواجا فتشيع عبر الأجيال". 18،وغير بعيد عن هذا المفهوم تصطلح دائرة المعارف البريطانية على المثل بكونه "عبارة موجزة ابتدعها الشعب، مصيبة للمعنى،ومصورة للواقع المعيش، شائعة الاستعمال"19.

والمحصّل من هذه التعريفات أن جل هذه الدوائر المعرفية تتفق حول الخطوط العريضة التي تشّد المثل إلى خاصية الإيجاز و الاقتصاد إلى حد بعيد، و إصابته لمفاصل المعنى، و مع إعطائه الطابع الشعبوي الشمولي،بالإضافة إلى تكريسه للتجربة الشعبية.

ويبقى المثل عند علماء الغرب وفي معاجمهم عبارة موجزة في اقتصاد شديد، موافقة للمعنى، واسعة الذيوع والاستعمال، متضمنة فكرة اجتماعية في قالب فني ممتع، تشع منه لمسة أدبية، و قد احتفظ بسمة الشعبية كونه نتاج تجربة الشوارع، كما يتداول في انجلترا أن الأمثال حكمة الشوارع 20.

5– المعطى الطوبونيمي للأمثال الشعبية الشلفية:

المنارة للاستشارات
ww

تقتضينا منهجية البحث استعراض الظاهرة اللهجية جمعا وترتيبا في شكل عينات قابلة للفحص والتحليل في المقام الأول ، ومن ثمّ الإحاطة بمختلف طرق أداء الملفوظ اللهجي في هذه المنطقة ،والبحث في الخلفيات البيئية و اللسانية والثقافية الملازمة لها عبر مسيرة نشوئها وتطورها إلى يومنا هذا، فقد شكّلت البيئة على مرّ العصور معطى سوسيولوجيا هاما،أسهم في رسم خارطة التنوع اللهجي على مستوى التشكيلات الخطابية لكل تركيبة بشرية،وخصوصا الأمثال المستقاة من تجربة طويلة، لعلها تجربة شعوب بأسرها منذ أقدم العصور"21.

وعلى هذا الأساس يعدّ الوسط البيئي حقلا دلاليا خصبا تتشكّل في أتونه فكرة المثل وتركّب على رصيده تيماته في العينات المدروسة، زيادة على المعطى السيكولوجي الذي يصدر عن سلوك الفرد وتجربته، وهي لا تختلف في باقي الأمثال المنطوقة باللسان العربي العامي ،ذلك أن الجغرافية الطبيعية واحدة مشتركة ،والتركيبة البشرية من أمشاج مختلطة ،والنوازع تكاد تكون نفسها ،مما يجعل "اللهجات الأمازيغية متفاوتة التمرس والاحتكاك باللغة العربية ،وقد نتج عن ذلك تفاوتها في تبني الألفاظ العربية وفي إماتتها للكلمات الأمازيغية الأصلية". 22

كما يشكّل استعمال الكثير من الألفاظ الأمازيغية في الملفوظ الشلفي ظاهرة لسانية جلية للعيان، والتي مازالت تمظهراتها ورموزها متداولة في بعض الصيغ التعبيرية إلى يومنا، محتفظة بحسّ نقدي ساخر، نذكر منها على سبيل المثال كلمة **تلفزا**،أو **تلفسي** بالأمازيغية ،والتي تعني الأفعى، و **تاتا** أي الحرباء ،و **زلمومية** فيقال **امرأة تاتا** أو امرأة زلمومية وقسّ على ذلك من الكلمات المستعارة توريةً عن بعض النعوت التي تطلق على بعض البشر ذمّا لصفة أو طبع متجذّر فيهم ،فقد ورد في بعض الأمثال الشلحية في الشلف مثلا: **أَقْزِينْ(الكلب) أُيْتَتَشْ** اِمَوْلَانْيسْ ،بمعنى الكلب مايأكلش مولاه ، ويقال في معنى آخر:**أَقْزِيْنْ** يَوْيِه **إغْزَرْ** (الواد) نَتَ يْقَرَاسْ ،أي الكلب داه الواد ويقول راني في العلالي ،و في عاميتنا الواد دايّه وهو يقول محلى برودة ، والمحصّل من هذه الظاهرة اللغوية أنّ"العاميات العربية الشمال إفريقية تعدّ موردا لأسماء الحيوان التي قد تنوسيت أحيانا لدى الناطقين بهذه اللغة ،وقد اقترضت العاميات العربية في هذه المناطق عددا مهمّا من أسماء الحيوانات من الأمازيغية مثل تازرمّومت." 23

إضافة إلي ذلك لا تزال بعض الكلمات دارجة في الملفوظ الشلفي، منها كلمة **هَتُوش** أو **أَهَكُوش** أو **أعقون** بالأمازيغية ،ومعناها في الفصحى الساذج ،و**تَالّست** بمعنى الظلمة، ومنها نستعمل اسم الفاعل **المتَلَّس** أو **التلس** ،ويقال في الدعاء على الأبله- الله يعطيك **التلّس**- أي العمى ،ناهيك عن رواج

المنارة للاستشارات
ww

استعمال لفظة **أمزلوض** بمعنى المفتقر ،وهو ما يعرف في دارجتنا بـ**المزلوط** من المصدر **الزلط** ،وهي مفردات كثيرة الاستعمال تبرّر لجوء" المتكلمين بهذه اللهجة إلى الإكثار من استعمال توريات ترتبط بالمعتقدات الخرافية السائدة عنها والتطيّر منها والإيحاءات الرمزية التي تحملها ، كأن تكون بعض الحيوانات في الثقافة الأمازيغية رمزا للشؤم أو الوحشية أو الخطر الذي يهدد النظام الاجتماعي كالثعلب والغراب والحرباء ." 24

كثيرة هي أسماء الأماكن والنبات والحيوان المحفورة في القاموس الجغرافي للمنطقة، والتي يمكن الاستدلال عليها بالعودة إلى كتاب روني باسات ، ورد ذكرها و معناها في الفصل الثاني الخاص بالجانب التركيبي والصوتي من دراسته étude sur la zenatia de l'Ouarsenis et de Maghreb central ،نذكر منها على سبيل المثال عين **أسردون** وواد **تيزي غاوت** وواد **سلي** وبني **أوراغ** وواد **تافلوت وتاوقريت** و**أغبال** أو **أغبالو** بمعنى عين الماء وغيرها، وهي كلمات أمازيغية في الأصل،ضف إليها أسماء بعض الطيور مثل **إسردوك** أي الديك و**الزاوش** بالشاوية ،وهو طائر بني صغير ،ومن أسماء النبات المعروفة **تاسكرا** و**تيفاف وتيمريوت وتابغا وتارغلا** و **تارغودا** و**تيمرسات** .

يتضح من بعض العيّنات من الأمثال الشلحية أن البيئة المحلية ترسم الملمح الأساس في صناعة المثل وتوجيه دلالته،عبر استثمار عناصر الطبيعة واستلهام رموزها ،كما هو شائع ومتعارف عليه بين أبناء ساكنة المنطقة،سواء الناطقة أهلها بالعربية العامية أو بالشلحية،دون إغفال عامل التواصل والتقارب بين أفراد المجتمع باعتبار أن "البيئة هي التي تفرض نمط العيش وتكيّف اللغة وتوجّه نموّها وتجعلها تخلق للفكر قوالبه وتوحي إليه بتصورات تنطلق من واقع الحياة، ذلك الواقع الذي تتحكم فيه المحسوسات مرتبةعلى قدر مالها من تأثير في علاقات الإنسان بالطبيعة والكون".25

6– المعيارالقيمي للأمثال الشلفية :

أ– المعيار السيكولوجي :

كثيرا ما يشعرنا المثل الشعبي في محتواه ومعناه بالتقصير في بلوغ درجة من الأخلاق ،كونه يجسّد انعكاسا لما يسود عالمنا العيني من تدن في معاملاتنا الأخلاقية والإنسانية، فيتناولها بكثير من النقد و السخرية ، في سياقات تستهدف إستراتيجية استخدام الألفاظ استخداما فنيا، تغلب عليها الجمل المتعارضة، والتي تصور دهشة المفارقات اليومية في الحياة بصورة تشدنا إليها كما في الأحلام، كقولهم في بعض أمثالهم بالشلحية **يُوْثَايْ يَتْرُو يَزْرَبْ إِشَّيَا** ، أي بمعنى ضربني وبكى و سبقني واشتكى،فليس غريبا

المنارة للاستشارات
ww

في هذا الحال إن عدّ المثل " فلسفة الحياة الأولى، وله في تاريخ الفكر أهمية لا يدركه إلا من تعمّق في دراسة نفسية الشعوب و دراسة التطور الفكري عند البشر"26.

يوطّن الفعل السلوكي للمثل الشعبي اتجاها سلوكيا تعليميا، غايته تهذيب الفرد و تقويم أخلاقه، من خلال استحضار مضرب الأمثال ومناسباتها ،باعتبارها شواهد تنمّ عن براعة قائلها في التوفيق بينها وبين المواقف التي تتردّد في حضرتها ، في لغة تشخيصية كاريكاتورية ساخرة تستلهم دلالتها من بعض الأوصاف، زيادة على ما تفرزه من انفعالات وأريحية على مستوى تلقيها، وبالتالي يتحول المثل إلى " أسلوب تعليمي ذائع بالطريقة التقليدية،يعمل أو يصدر حكما على وضع من الأوضاع".27

وعليه تنهض الكثير من هذه النماذج على تدعيم فكرة اجتماعية،أو نظرة سيكولوجية للعلاقات الإنسانية في نطاق معاملاتهم اليومية، توجه للمتلقي في ظروف ومواقف تسمح له باستخلاص الدروس والعبر ،من مورد المثل ومضربه ،كما هو متعارف عليه في الأمثال الفصيحة ، و لا أدلّ على ذلك عيّنة المثل الشعبي التالي:

يَنَا أَيْرَاذْ(الأسد) تقنفان إجاريحن واتقنفين إيوالن ....**قال السبع** :الشقفة تبرا وكلام السوء مايبراش بالعربية العامية.

أصل المثل ومضربه كما تحفظه الرواية و تتداوله الألسن أن امرأة عرض لها قطاع طريق، فلقيها أسد استنجدته ،ولما اقتربوا منها أطلق زئيرا فرق شملهم ، وحين عودتها إلى أهلها ذكرت لهم صنيع الأسد معها وزئيره المفزع لولا رائحته الكريهة،فحزّ فيه ما سمعه من شهادتها،فقال لها خذي الفأس واضربيني بين العينين ، فقالت مندهشة كيف أجرأ على ذلك يا سيدي وأنت الذي أنقضت حياتي فرد عليها "الشقفة تبرا وكلام السوء ما يبراش" فأصبح هذا المثل مضرب الناس لمن يقابل الإحسان بالسيئة.

يلاحظ من هذه العينات أن القاسم المشترك بين الأمثال الشلحية و الشعبية العربية العامية في منطقة جنوب الشلف، هو تطابق المنطلق الفكري والسلوكي الذي تصدر عنه هذه الأمثال والغاية التي يتغيّاها، وبالخصوص ما تعلّق منها بالجانب النقدي للسلوك العام للبشر في بيئتهم، حيث شكّلت هذه الأنماط السلوكية مبررا لصدور هذه الأمثال ،ناهيك عن طريقة صياغتها وفق سياق بلاغي ففي يتوسّل بالكناية طريقا إلى رسم المعنى ،كقولهم: **تِمَسِي** قَلَّ **وْلُومْ** .....النار تحت التبن، أو في سياق هزلي ساخر كما هو وارد في المثالين التاليين :**عَرْضَغْ** فَلَاسْ **يَشِيتْ أَلْكُولْ**..... عرضت عليه كلاها كامل.

أَقَرْضَالْ أَعَدِيْسْ أَمَايَشِيْتْ أَمَا يْجِيْتْ ..... كبير لكرش يا كلها يا خلاها.

المنارة للاستشارات
ww

ب –المعيار الفني:

يمثّل التداخل الدلالي و التشاكل الصوتي طريقة في صياغة الأمثال الشعبية الشلفية ، ومظاهرا من مظاهر التقارب اللغوي الحاصل بين تلك النماذج في نطاق تداولها الجغرافي ، وآية هذا التقارب ما يستنتج من المثل التالي:(**أَرْيُونْ** ***أُيَتْفَوَرْ أُرْثُو أُيَتْنَوَرْ**..... الرونية ما تفور و الكرمة(**شجرة التين**) ما تنور)، فلفظة **أَرْيُونْ** يقابلهافي العامية الشلفية الرونية ،ولفظ **أُيَتْفَوَر**يقابله تفور،والفارق بين اللهجتين مصطلح شجرة التين **أُرْثُو**، بالإضافة إلى طريقة تلفظ الكلمات،وتغيّر نبرة نطق الحروف،كما في النماذج التالية:

وَنِي إِزَوْجَنْ يَنْدَمْ وَنِي يَقِمَنْ يَعْزَمْ.....اللي تزوج ندم و اللي قعد هدم.

هَاضَصْ هَدَسْ.....الضحك يضحك.

يُوسَادْ أَيزِيزَنْ إِقَاقَرْ إِيعْزِيْزَنْ.....جاباش يسخن وطرد أصحاب الدار.

وما يسترعي الانتباه أن بنية بعض الأمثال الشلحية من بدايتها إلى نهايتها، كما في الأمثال العربية العامية قد تُستفتح في الغالب باسم الموصول (**الذي ،اللي**) ،على صيغة المثل السّالف باللهجة الشلحية، والذي استهل باسم الموصول (**وني** بمعنى **اللي**) **إِزَوْجَنْ يقابلها – تزوج ويقمن** يقابلها **قعد** ،بالإضافة إلى توافق النغمة الموسيقية في المثل باللهجة الشلحية والعامية على حدّ سواء في الفواصل التالية،**يندم و يعزم** وبين **ندم وهدم**،وعليه يقوم عنصر المقابلة على تنميق الجانب البلاغي في المثل ،ذلك أن "إحلال ألفاظ بعضها محل بعض من حيث المدلول، على سبيل الكناية واللّمز و الاستهزاء ظاهرة لغوية لها أثرها حتى في العربية العامية،وهي نتاج ميل شعوب المغرب العربي إلى حسّ الدعابة والممازحة ."28

وفي الشقّ الخاص بعملية بناء المثل وإخراجه إخراجا فنيا،من غير إفراغه من مضمونه التعليمي يستعير المثل الشعبي الشلفي من أسماء بعض الحيوانات ما يتوافق والعرف السائد لدى ساكنة المنطقة، في اتخاذهم أسماء بعض الحيوانات كناية عن صفات الشجاعة أو المكر والخداع ،وعليه " تبصم الرموز الحيوانية*** بكثافة الأدب الأمازيغي التقليدي (الشعر والحكاية والأمثال والألغاز)، وبالخصوص الحيوانات المنتشرة بكثرة في شمال إفريقيا،حتى أن بعض الحكايات والمادة الفلكلورية احتفظت لنا بأسماء حيوانات قد انقرضت نهائيا من بيئتها كالأسد. 29

و لا بأس أن نقف وِقفة تمعّن في بعض العينات التي تتخذ من أسماء بعض الحيوانات المتوحشة أو الأليفة مرتكزا فنيا، تنسج مسحة جمالية على المثل ،فتجعلها أعلق بالمتلقي وأقرب إلى تدبّر محتواها، والتي تعود من حيث الاستعمال إلى إحدى القبائل التي سبق الإشارة إليها في كتاب روني باسات، وهي هوارة

المنارة للاستشارات
ww

و عشعاشة وبن حليمة وبن مناصر وزواوة ، علما أن الدراسة تحصي الكثير من الألفاظ الشلحية من أسماء وأفعال وحروف ربط، متضمنة في الكثير من النصوص الشعرية والقصص الخرافية، وفي الأمثال على وجه الخصوص، وإن كان بعضها قد انتفى توظيفها في ملفوظنا اليومي،نظرا لارتباط القاموس الشلحي بطبيعة المهن والحرف التي مارسها أسلافنا قديما،والتي شكّلت قناة تواصل بين المجموعات السكنية على تنوع تركيباتها اللسانية ، ويمكن الاكتفاء بهذه الأمثال التي سجّلت مادة معجمية ثرية، حفظت مشافهة على أسماء بعض الحيوان ،مثلما هو مدون في النماذج التالية:

أغيول داذرغال أبريذ دازيرار-----لحمار مايفرزش والطريق طويل

أَفُونَاسْ سليحوف قوان إخدماييس-----الثور عندما يسقط يكثر مواسو

مَرْبَحْ **سَنْ إِغِرَنْ** .....عصفورين بحجر واحد

أَقْزِيْنْ يَوْيِه إِغْزَرْ (الواد) نَتَ يْقَرَاسْ..... الكلب داه الواد ويقول راني في العلالي وفي العربية العامية الواد دايّه وهو يقول محلى بروده.

نتائج وتوصيات:

شكّلت الأمثال الشعبية الشلفية حقلا معرفيا خصبا، إلى جانب التشكيلات التعبيرية الأخرى المتداولة في نطاق بيئتها ،ومجالا لرصد الظاهرة اللهجية جمعا وترتيبا ، وفهم المنطلق الفكري وطرق الأداء بين المجموعات السكانية الخمسة الناطقة بهذه اللهجات ،ولاسيما في نطقها لبعض أسماء الحيوان والجماد والنبات وغيرها.

يلاحظ من هذه العينات أن القاسم المشترك بين الأمثال الشلحية و الشعبية العربية العامية في منطقة جنوب الشلف هو تطابق الفعل السلوكي الذي تصدر عنه هذه الأمثال، والغاية التي يتغيّاها، وبالخصوص ما تعلّق منها بالجانب النقدي للسلوك العام .

عرفت الأمثال الشعبية الشلفية الشلحية استقطابا للكثير من الألفاظ العربية العامية ،والتي تتداخل لهجيا مع صنوتها بالشلحية ،مشكلة نسيجا لهجيا متفردا، يمثّل طريقة فنية في صياغتها، ومظاهرا من مظاهر التقارب اللغوي الحاصل بين تلك النماذج في نطاق تداولها الجغرافي ، ناهيك عن طريقة صياغتها وفق سياق بلاغي فني يتوسّل بالكناية طريقا إلى رسم المعنى .

بالإمكان فتح إشكالية الموضوع -وفي شق أخر من هذه الدراسة-على رصد التنوع اللهجي على مستوى التشكيلات الخطابية لكل تركيبة بشرية، وعليه يستحسن إخضاع مستويات التعبير اللهجي في

المنارة للاستشارات
ww

العينات المنتخبة إلى نفس الاستراتيجية التي تتحقق وفقها المقاصد الإبلاغية والتأثيرية والجمالية ، مثلما تتحقق في النصوص الرسمية المكتوب منها والمشفوه ، وبناء نظرية أو قاعدة تحتكم إليها هذه اللهجة من منظور لساني ، وعزل مستوياتها للوقوف على مدى قربها من الفصحى أو ابتعادها عنها، ومحاولة إعطاء قراءة سوسيو لسانية لكل استنتاج يربطها بالدراسة المستوياتية اللسانية.

هوامش البحث:

1- Voire René basset: étude sur la zenatia de l'Ouarsenis et de Maghreb central Ernest Leroux éditeur paris 1895p23.

* شغل **روني باسات** مديرا بالمدرسة العليا للآداب بجامعة الجزائر وعضوا في التجمعات الأسيوية بباريس والمجمع اللساني بباريس.

2- . Voire ibid. p3et 4.

3-أنيس فريحة : اللهجات و أسلوب دراستها ، دار الجيل بيروت، ط1، 1989 ،ص119.

4- هالة صفوت كمال :قالت الرواية ، مجلة الفنون الشعبية ، العددان 95/94 أبريل 2013، سبتمبر2013،مصر ص63.

5-أنيس فريحة: اللهجات وأسلوب دراستها، مرجع سابق، ص 77.

6-نبيلة إبراهيم : أشكال التعبير في الأدب الشعبي ، مكتبة غريب القاهرة ط3، ،1981 ص164.

7- ينظر: جيرار جينيت : خطاب الحكاية ، بحث في المنهج تر، محمد معتصم ،عبد الجليل الازدي ، عمر حلي، منشورات الاختلاف الجزائر، 3ط،2003ص265.

8- نبيلة إبراهيم : أشكال التعبير في الأدب الشعبي مرجع سابق ، ص 140.

9-محمد إسماعيل صيني- ناصف مصطفى عبد العزيز، مصطفى أحمد سليمان، معجم الأمثال العربية، مكتبة لبنان، بيروت.لبنان، سنة 1996م60.

10- ينظرأحمد أمين: قاموس العادات و التقاليد و التعابير المصرية، لجنة التأليف و الترجمة، سنة 1953م، الجزء الأول، ص61.

11- أحمد رشدي صالح: فنون الأدب الشعبي، دار المعارف، القاهرة- مصر، سنة 1954م، ص06.

12- قادة بوتارن: الأمثال الشعبية الجزائرية، ترجمة الدكتور عبد الرحمان حاج صالح، ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر، سنة1987م، ص 05.

13- عبد الباري محمد داود: فلسفة الصمت و الكلام، مركز الإسكندرية للكتاب، سنة 2002م، ص 89.

المنارة للاستشارات
ww

14- سيمون إبراهيم حمصي: ألف و خمس مئة من الحكم و الأمثال الشعبية، دار طلاس للدراسات و الترجمة و النشر، دمشق-سوريا، طبعة 1990م، ص 424.

15- عبد الباري محمد داود: فلسفة الصمت و الكلام، مركز الإسكندرية للكتاب، سنة 2002م، ص 89.

16- نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، مرجع سابق ص 98.

17-دائرة المعارف الفرنسية لاروس ; encyclopédiqe la rousse ;librairie la rousse ; 1979 ;p1152

18- دائرة المعارف الأمريكية the encyclopédia american ; 1956 ;vol22 ;p705;

19- دائرة المعارف البريطانية encyclopédia britanica ; 1966 ; vol 18 ; p 678

20- رابح خدوسي: قاموس العالم في الأمثال و الحكم، دار الحضارة للتأليف و النشر، الجزائر، الطبعة الأولى، سنة 1995م، ص 230.

21-محمد إسماعيل صينيك: ناصف مصطفى عبد العزيز، مصطفى أحمد سليمان، معجم الأمثال العربية، مكتبة لبنان، بيروت. ، 1996م ص 6.

22- روحي البعلبكي: موسوعة روائع الحكمة و الأقوال الخالدة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الرابعة، 2001م، ص 551.

** أريون أو الروينة بالعامية الشلفية أكلة مشهورة في الوسط الفلاحي تحضر بالطخين والماء والسكر في قصاع مع حلول موسم الحرث توزع على القرويين في جو من البهجة للتفاؤل بسنة فلاحية خصبة.

23- محمد أوسوس:أماوال نـ ئمودرن،معجم حيواني (فرنسي- أمازيغي- عربي-) مؤسسة تاوالت الثقافية ،كاليفورنيا ،دط دت ،ص 15.

24- ينظر المرجع نفسة ص 12.

25--محمد شفيق:المعجم العربي الأمازيغي،ج 1 ،أكاديمية المملكة المغربية، دظ،1987،ص 9.

26- محمد أوسوس:أماوال نـ ئمودرن،معجم حيواني (فرنسي- أمازيغي- عربي- مؤسسة تاوالت الثقافية ،كاليفورنيا ،دط دت ،ص 7.

ص 128.ص 129 .

27- ينظر محمد شفيق:المعجم العربي الأمازيغي،ج 1 ،أكاديمية المملكة المغربية، دظ،1987،ص12.

28- ينظر محمد أوسوس أموال ن ئمودرن ، مرجع سابق ،ص 128.ص 129.

***وبخصوص ورود أسماء الحيوان الأمازيغية في الطوبونيميا لشمال أفريقيا ينظر كتاب وشم الذاكرة لرشيد الحسين .

المنارة للاستشارات
ww

29- المرجع نفسه ، ص 7.

قائمة المراجع

1- أحمد أمين: قاموس العادات و التقاليد و التعابير المصرية، لجنة التأليف و الترجمة، سنة 1953.

2- أحمد رشدي صالح: فنون الأدب الشعبي، دار المعارف، القاهرة- مصر، 1954.

3- أنيس فريحة: اللهجات وأسلوب دراستها، دار الجيل بيروت ، ط1، 1989.

4- جيرار جينيت : خطاب الحكاية ، بحث في المنهج تر، محمد معتصم ،عبد الجليل الازدي ، عمر حلي، منشورات الاختلاف الجزائر، ط3، 2003.

5- رابح خدوسي: قاموس العالم في الأمثال و الحكم، دار الحضارة للتأليف و النشر، الجزائر، ط 1، 1995.

6- روحي البعلبكي: موسوعة روائع الحكمة و الأقوال الخالدة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 4، 2001.

7- سيمون إبراهيم حمصي: ألف و خمس مائة من الحكم و الأمثال الشعبية، دار طلاس للدراسات و الترجمة و النشر، دمشق ، 1990.

8- عبد الباري محمد داود: فلسفة الصمت و الكلام، مركز الإسكندرية للكتاب، 2002.

9- قادة بوتارن: الأمثال الشعبية الجزائرية، ترجمة الدكتور عبد الرحمان حاج صالح، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر 1987 .

10- محمد إسماعيل صيني، ناصف مصطفى عبد العزيز، مصطفى أحمد سليمان: معجم الأمثال العربية، مكتبة لبنان، 1996.

11- نبيلة إبراهيم : أشكال التعبير في الأدب الشعبي ، مكتبة غريب القاهرة ط3، ،1981 ص164.

12- هالة صفوت كمال :قالت الرواية ، مجلة الفنون الشعبية مصر ، العددان 95/94 أبريل 2013، سبتمبر2013.

13- دائرة المعارف البريطانية- ; encyclopédia britanica ; 1966 ; vol 18

14- دائرة المعارف الأمريكية ; the encyclopédia american ; 1956 ;vol22

15- دائرة المعارف الفرنسية لاروس ; encyclopédiqe la rousse ;librairie la rousse ; 1979 ;

16- René basset: étude sur la zenatia de l'Ouarsenis et de Maghreb central Ernest Leroux éditeur paris 1895.

المنارة للاستشارات

ww